حق المعلم

تأليف
عبد الرحمن بن علي العسكر

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م

مدار الوطن للنشر، الرياض

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ ـ ص.ب: ٣٢١٠
فرع السويدي، هاتف: ٤٣٦٧١٧٧ ـ فاكس: ٤٣٦٧٣٧٧
المنطقة الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
منطقة الرياض: ٠٥٠٣٣٩٣١٦
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٢١٩٣٣٦٨
المنطقة الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٤١٣٠٧٣٧
التوزيع الخيري: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ ـ ٢٨٣١٤٥٣
التسويق والمعارض الخارجية: ٠٥٠٦٤٩٥٦٢٥

البريد الإلكتروني: pop@dar-alwatan.com
موقعنا على الإنترنت: www.madar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رفع أهل العلم على غيرهم من البشر، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المعلم والمرشد كان لأمته كالوالد للولد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، أما بعد:

أهمية العلم وفضله

فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القرب، وأجل الطاعات، وأهم أنواع الخير وآكد العبادات، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، وشمر في إدراكه والتمكن فيه أصحاب الأنفس الزاكيات، وبادر إلى الاهتمام به

المسارعون إلى الخيرات، وسابق إلى التحلي به مستبقوا الكرامات، وقد تظاهر على ذلك الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة المشهورات وأقاويل السلف النيرات بما أصبح عند كثير من الناس معلوما مشهورا .

قال ابن الجوزي: ليس في الوجود شيء أشرف من العلم، كيف لا، وهو الدليل، فإذا عدم وقع الضلال.

وقال الشافعي: من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح، ومن رفع عنه حزن.

وقال الأحنف: كل عز لم يوجد بعلم فإلى ذل مصيره.

وقال علي: كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه.

ويكفي في فضل العلم والعلماء قول الرسول ﷺ فيما

رواه عنه أبو أمامة الباهلي قال: "**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**" [رواه الترمذي والطبراني، وأخرجه الدارمي عن مكحول مرسلا].

أهمية الأدب والخلق الحسن

العلم هو حياة الناس ولا يستغني عنه أحد، قال أبو زيد البلخي: ليس يستغني أحد عن التعلم والتعليم، لأن الحاجة يضطر إليها في جميع الديانات والآداب والصناعات والمذاهب والمكاسب، فما يستغني كاتب ولا حاسب ولا صانع ولا بائع عن أن يتعلم صناعة ممن هو أعلم منه، ويعلمه من هو أجهل منه، وقوام الخلق بالتعلم والتعليم، لكن لا يكون المرء عالما ما لم يعرف الطريق الموصل إلى العلم، ولا ينال العلم بمثل الأدب واحترام

الشيخ والأستاذ، وإن حاجة الناس اليوم إلى معرفة آداب الطالب مع معلمه ماسة، لأن أكبر صارف للناس عن الاستفادة من العلم عدم تقدير الطالب لمعلمه وأستاذه.

روى الإمام أحمد والحاكم بسند حسنه المناوي عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ليس من أمتي من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه"**، نقل المناوي عن الحكيم أنه قال: إجلال الكبير هو حق سِنِّه، لكونه تقلب في العبودية لله في أمد طويل، ورحمة الصغير موافقة لله، فإنه رحمه ورفع عنه العبودية، ومعرفة حق العالم هو حق العلم، بأن يعرف قدره بما رفع الله من قدره فإنه قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فيعرف له درجته التي رفع الله له بما آتاه من العلم.

وقال ابن سيرين: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم.

وقال الحسن: إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين والسنين، وقال بعضهم لابنه: لأن تتعلم بابا من الأدب أحب إلي من أن تتعلم ستين بابا من أبواب العلم، وقال مخلد لابن المبارك : نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير الحديث .

حق المعلم على طلابه

فأول ما يجب على الطالب لمعلمه: أن ينقاد له في أموره، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره، بل يكون الطالب مع أستاذه ومعلمه وشيخه كالمريض مع الطبيب الماهر، وليعلم أن ذله لمعلمه عز، وخضوعه له فخر، وتواضعه له رفعة، عوتب الشافعي على تواضعه للعلماء فأنشد قائلا :

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها

ولن تكرم النفس التي لا تهينها

قال الزرنوجي في رسالته: وينبغي لطالب العلم أن لا يختار نوع علم بنفسه بل يفوض أمره إلى أستاذه، فإن الأستاذ قد حصلت له التجارب في ذلك فكان أعرف بما ينبغي لكل أحد وما يليق بطبيعته، وكان الشيخ الإمام برهان الدين يقول: كان طلبة العلم في الزمان الأول يفوضون أمورهم في التعلم إلى أستاذهم فكانوا يصلون إلى مقاصدهم ومرادهم، والآن يختارون بأنفسهم فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقه.

ومما يجب للمعلم والشيخ على طلابه: أن ينظروا إليه بعين الإجلال والتقدير، فهو المقدم عليهم، قال الشعراني: ينبغي لكل مسلم أن يكرم علماء زمانه ويجلهم ويوقرهم،

ولا يرى لنفسه قدرة على مكافأتهم، ولو أعطاهم جميع ما يملك وخدمهم عمره كله، وهذا عهد من الشارع لنا، وقد أخل به طلبة العلم فلا حول ولا قوة إلا بالله أ.هـ ، وقال ابن شاس في الجواهر : وبقدر إجلال الطالب للعالم ينتفع الطالب بما يستفيد من علمه ، وبقدر تحقير الطالب للعالم يحرم الانتفاع بعلمه، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وإذا كان الرجل قد علمه أستاذ عرف قدر إحسانه إليه وشكره.

لأن عدم تقدير الشيخ والمعلم مؤذن بعقوبة الله، المتمثلة في حرمان الطالب الانتفاع بعلم شيخه وأستاذه، يقول الشعراني: فاحترام العلماء ورعاية حقوقهم توفيق وهداية، وإهمال ذلك خذلان وعقوق وخسران، وذكر كَنُّون عن الشيخ زَرُّوق: أن من استحقر أستاذه ابتلاه الله بعقوبات: منها: أن ينسى ما حفظ منه.

ولقد كان السلف أشد الناس تعظيما لعلمائهم ومعلميهم: يقول يحيى بن عبد الملك الموصلي: رأيت مالك بن أنس غير مرة وكان بأصحابه من الإعظام له والتوقير له، وإذا رفع أحد صوته صاحوا به، وكان إلى الأدمة ما هو- يعني أنه كان أسودا-.

وقال الشافعي: كنت أتصفح الورقة بين يدي مالك تصفحا رفيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها.

وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له.

وروى الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن إسماعيل البخاري أنه يقول: ما رأيت أحدا أوقر للمحدثين من يحيى ابن معين، وروى أيضا عن المغيرة قال: كنا نهاب إبراهيم كما يهاب الأمير.

وعن أيوب قال: كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث سنين فلا يسأله عن شيء هيبة له، وقال الزرنوجي: ومن توقير المعلم أن لا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذنه، ولا يسأل شيئا عند ملالته، ويراعي الوقت، ولا يدق الباب، بل يصبر حتى يخرج.

ومما يجب على طالب العلم لأستاذه وشيخه: أن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله، وأن يدعو له مدة حياته وبعد مماته فهذا أقل واجبه عليه، يقول شعبة: كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبدا ما حيي، فكلما لقيته سألته عنه.

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أحمد بن حنبل أنه قال: هذا الذي ترون أو عامته من الشافعي وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي، وروى عنه أيضا أنه قال: أنا أدعو الله لخمسة كل يوم أو كل صلاة أسميهم

بأسمائهم وأسماء آبائهم أحدهم الشافعي.

وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: يا أبتِ أي رجل كان الشافعي؟ فإني سمعتك تكثر الدعاء له، فقال لي: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض.

وروى عن يحيى بن معين أنه يقول: محمد بن إدريس الشافعي في الناس بمنزلة العافية للخلق والشمس للدنيا جزاه الله عن الإسلام وعن نبيه صلى الله عليه وسلم خيرا.

وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا عبد من علمني حرفا واحدا، إن شاء باع، وإن شاء أعتق، وإن شاء استرق.

ونقل النووي في تهذيب الأسماء واللغات أن عاق المعلم لا تقبل توبته بخلاف عاق الوالدين، ويقول

شيخ الإسلام ابن تيمية: وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه ويشكر إحسانه إليه، فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ولا يجحد حقه ولا ينكر معروفه.

فحق الشيخ على طلابه كبير، كما حق المعلم والمدرس كذلك، فعلى الطلاب والطالبات أن يعرفوا حق علمائهم ومعلميهم عليهم وأن يراعوا معهم الأدب كي يبارك الله لهم فيما تعلموه.

مكانة المعلم

لا يوجد شخص في هذه الدنيا أيا كان وجهة إلا وفي عنقه فضل لمعلم علمه إما علما أو صنعة أو حرفة أو تجارة، أرأيتم التاجر هل خرج من أول وهلة تاجرا قبل أن يتعلم طريقها من مقارنة الكبار، لذلك كانت وظيفة المعلم أشرف وظيفة وأسماها، لأنهم مصابيح الدنيا والطريق الموصل للآخرة، فوظيفتهم وظيفة الأنبياء

والرسل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الخلاء فلا تستقبلوها ولا تستدبروها ولا يستنجى بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة**" [رواه أحمد وابن حبان والبيهقي وابن ماجه بسند حسن].

يكفي المعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم افتخر بذلك، وأن الناس كلهم عالة على معلميهم، وأن كل شخص يسابق بما قدمه، والمعلم يسبقهم كلهم لأنه صاحب فضل عليهم.

يقول ابن حزم في فضيلة المعلم: هي فضيلة عظيمة لأنه سبب حياة كل من تعلم منه شيئا، وله الأجر المضاعف من كل من يتعلم ممن علمه هو إلى انقضاء الأبد، بأن كان سبب حياة نفوسهم.أ.هـ

فالواجب على المعلمين – أيًّا كانوا – أن يتقوا الله فيما يقومون به من عمل، فهم طريق صلاح الناس، كما أنهم

طريق إفسادهم، فما صلحت الشعوب ولا استقامت الأمم بمثل صلاح معلميها وإخلاصهم، وبقدر نقصان هذه الصفات فيهم بقدر خسارة المجتمع كله.

فبقدر سعي المعلم في النهوض بالأمة إلى سبل الرشاد بقدر وصولها إلى مبتغاها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس أو يفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

ويقول عبد العزيز الجرجاني في قصيدته المعروفة:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تدنسا

فإن كان اللوم على الطالب والمتعلم بعدم تقديره لشيخه ومعلمه فاللوم أكبر على المعلم والشيخ الذي لم

يقدر ما يحمله بين جنبيه من علم ، يقول البيضاوي : حق على المعلم إرشاد المتعلمين ونصح الطالبين وإظهار العلم للسائلين ، فمن كتم علما ألجمه الله بلجام من نار ، وأن لا يقصد بعلمه الرياء والمباهاة والسمعة وأن لا يجعله سبيلا إلى الدنيا فإن الدنيا أقل من ذلك قال الفضيل: إني لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنيا افتقر ، وعالما تلعب الدنيا به .

فحق المعلم على طلابه كبير، وحقه على نفسه بما يحمله من علم أكبر من ذلك، فليراع كل مكانته ومكانة شيخه، لعل الله أن يبارك لكل فيما عَلِمَ وعَلَّمَ، أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقنا علمًا نرتفع به على الناس، وأن يرزقنا معه أدبًا وخلقًا، إنه سبحانه خير مسؤول وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه
عبد الرحمن بن علي العسكر
ص.ب: ٩٠٨١٨ الرياض: ١١٦٢٣